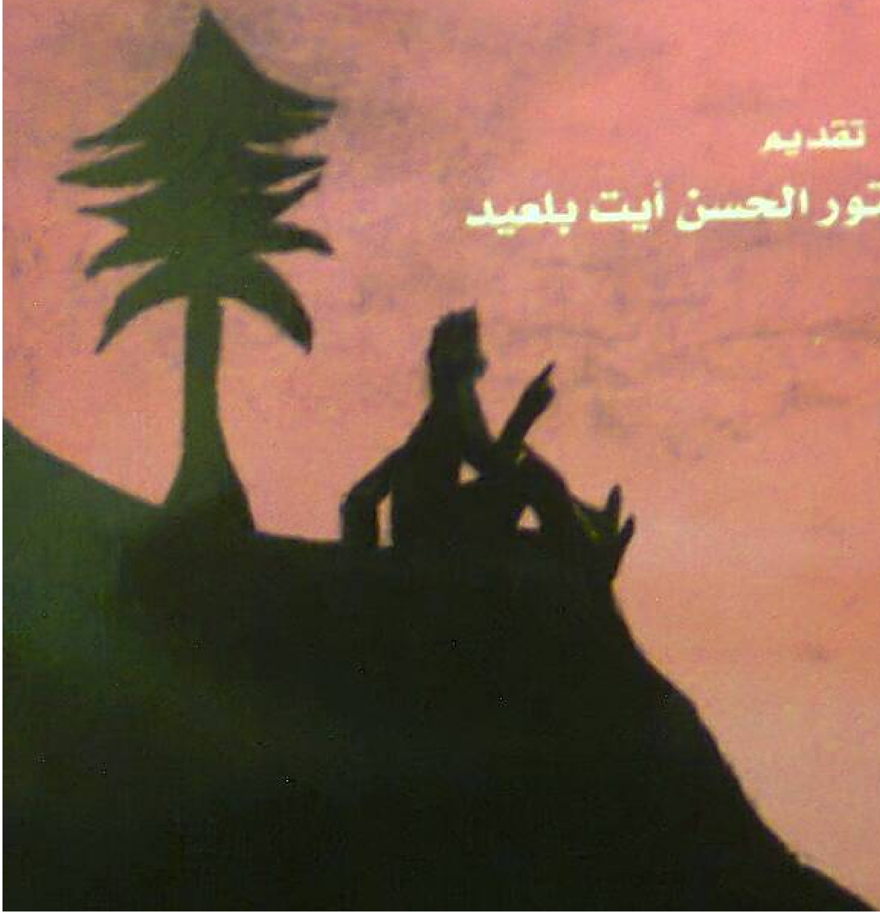


معاذ العلوي

المتاهة الزمنية

مجموعة من القصص العجائبي



تقديم

الأستاذ الدكتور الحسن أيت بلعيد

بسم الله الرحمن الرحيم

المتاهة الزمنية

مجموعة من القصص العجائبي

تأليف :

معاذ العلوي

تقديم :

الأستاذ الدكتور الحسن أيت بلعيد

رسوم بريشة:

حمزة العلوي

الكتاب : المتاهة الزمنية، مجموعة من القصص العجائبي.
المؤلف : معاذ العلوي
الناشر : المؤلف

الطبعة : الأولى 1435هـ-2014م.
المطبعة : مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء
الإيداع : القانوني رقم 2014 MO 1528
ردمك : 978-9954-33-580-2

إهداء

إلى معلمي الأول: والدي سيدي محمد الوالي العلوي.
إلى مدرستي الأولى: والدتي أمينة.
إلى أخي: حمزة، وأختاي: سمية و سكينة.
إليهم جميعا أهدي هذا العمل المتواضع.

كلمة شكر

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
«من لا يشكر الناس لا يشكر الله».
أود أن أتقدم بالشكر الجزيل والخالص لجميع من ساهم من قريب أو بعيد في تأليف وإخراج هذه المجموعة القصصية، ومنهم: والدي سيدي محمد الوالي العلوي وأستاذي الدكتور الحسن أيت بلعيد الذي قدم لهذا العمل المتواضع.

تنبيه:

المرجو صيانة هذا الكتاب والمحافظة عليه لأنه يحتوي على آيات قرآنية من الذكر الحكيم.

توضيح:

- هناك بعض المقولات المنسوبة لكتابها تم إيرادها لإثارة التفكير الفلسفي أو طرح التساؤل، ولم يتم ذكرها للعمل بمقتضاها أو الإقتداء بأصحابها.

- إن أغلب هذه السطور حررت على امتداد السنة التي توفي فيها عالم الحديث وكاتب الرحيق المختوم في السيرة النبوية صفي الرحمن المباركفوري، والسنة التي حصل فيها الأديب التركي أورهان باموق على جائزة نوبل في الآداب.

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة

بقلم: محمد الوالي العلوي

من حسنات القراءات المتعددة، والاهتمام الواسع بالإنتاج العلمي، والثقافي، اكتساب زاد معرفي، يزكو ويربو وينضج مع مرور الأيام، واكتساب مخزون يتراكم باستمرار، ويكسب القدرة على الإنفاق أو غرس فسائل لا تلبث أن تغدو أشجارا ترسخ جذورها في الأرض، وترتفع فروعها في السماء...

ولعل ما دبجه يراع "معاذ" باكورة من ثمار المثابرة والإصرار على توظيف المكتسب وإخراج المضمر إلى الوجود.. إنها خطوة طالما انتظرناها.. وإنها حركة نثمنها ونتمنى لها النجاح والرسوخ والاستمرار.. والزيادة في الإثمار... وما أصعب الخطوة الأولى!.. وما أصعب اتخاذ القرار!.. وما أصعب تجاوز العقبة!

إن من يحاول يحتمل أن يخفق ولكن الذي لا يحاول يظل في إخفاق مستمر... ولعل المحاولة في حد ذاتها نجاح لا تدرك أبعاده ولا يمكن رسم حدود تجليه، بل لعلها بداية الطريق نحو الهدف المنشود.

ولعل هذه الباقة من الكلمات تحمل في رحمها بذورا تنحو نحو الكتابة الجادة، ومعالم الاختيار الأمثل لموضوع الإبداع المستقبلي الأكثر قوة وأصالة وتركيزا.

حفظ الله صاحب هذا العمل، وسدد خطاه، وكلل مساعيه بالظفر.... آمين.

في: أكادير، يوم فاتح محرم 1435 هـ.

تقديم

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على مولانا رسول الله، وآله وصحبه وسلم تسليما.

وبعد، فإن فلسفة الحياة أمواج متلاطمة، تتجلى في قدرة الخالق، وتتصرف فيها السنن الكونية وفق القانون الإلهي الذي خلق الحياة، وأثثها بكل تضاريسها الجغرافية وأحداثها التاريخية وهندستها العمرانية، لتتمظهر بأبهى الحلل للإنسان الذي يعمرها وفق ترتيبات محكومة بضوابط الإيمان بالقضاء والقدر. يقول الحق سبحانه وتعالى:﴿سنة الله التي قد خلت من قبل، ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾ سورة الأحزاب (23/48).

فحياة الإنسان المؤمن بربه، الملتزم بشرعه، تتزاوج فيها مكونات علمية من عالم القيم والأخلاق، وعالم البيولوجيا والجيولوجيا، والرياضيات والفيزياء وعالم الغيب بكل مقوماته ومكوناته، فتتفاعل آلياتها على خط استمرارية الإنسان السوي، على صراط الله الهادي إلى السعادة في الدنيا والفوز في الآخرة، خارج حدود الزمكانية وآثارها المتلاشية مع سيرورة الزمن وتقلباته لأن الليالي حبالى تلد كل عجيبة.

يأتي هذا الإنتاج الذي أقدم له، باكورة لكتابات الأستاذ اللبيب: معاذ العلوي، بعنوان (المتاهة الزمنية) مجموعة قصص في سياق الكتابات التي تلامس شغاف العقول والقلوب، في ثنائية تجعل القارئ يسبح لوحده في عالم اللامتناهي، منجذبا نحو الحقيقة الدائمة المستقرة، ومشاركا في تنبؤات تطرحها

الأسئلة المتناسلة بين ثنايا القصص المتتالية الأسماء والمتوالية كما يلي:

1- المتاهة الزمنية.

2- الدوامة.

3- الشبح الحقيقي.

4- المولود الألف.

تشرفت بمعرفة الكاتب وشاركت في تكوينه وتأطيره ضمن فوج زملائه الأساتذة المتدربين بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين جهة دكالة عبده فرع آسفي، فوسمته أستاذا سؤولا، ونشيطا في محاوراته ونقاشاته، ذا شخصية بدت بعض ملامحها في هذا العمل الأدبي.

وكتابته القصصية هذه، تضمنت تصويرا لأدق الحركات وتفاصيلها بأسلوب مشوق، يتغيى منه مصاحبة القارئ في رسم الوقائع، ليشارك في تفعيل أحداثها بخيال أبت فتن الحضارة المعيشة إلا أن تجعل جغرافيته على مقاسات لا دينية، تبعده عن عالم الروح وفضاء الإيمان.

القصص المتوالية في (المتاهة الزمنية) هي قصة الإنسان الفاعل في الحياة، المملوءة بالتساؤلات، الملتصقة بكل من ضل طريق السداد، ولم يعمل على تربية نفسه بما يواكب لحظات نموه العمري. أسئلة لن تجد أجوبتها إلا في الشخصية السوية التي تجمع بين مطالب الدنيا ومطالب الآخرة في تناسق وتناغم تامين ومتكاملين، في تقابل متضاد لآخرين من أولئك الذين يسبحون في عوالم متبخرة، لا انحرافات تترك خدوشها على أجسادهم، وتصنف بعضهم ضمن الذين يعيشون قساوة الإقصاء الجزئي أو الكلي في حياتهم، طوعا أو كرها،

وإن تحركت عقارب الزمن، وتغيرت الساعات والأيام والسنون.

فعلى درب القراءة نلتقي، ومزيدا من العطاء في الفكر الذي يؤرخ لشخصية الأستاذ(ة) بالمدرسة المغربية الصامدة أمام الزوابع والتحديات.

كتبه الحسن أيت بلعيد

بالدار البيضاء في يومه الجمعة 05 جمادى الثانية 1435هـ

الموافق ل 07 مارس 2014م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الحمد لله الذى هدانا لهذا و ما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ﴾

مدخل

إن الحمد لله نحمده ونستعين به ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

أما بعد :

لعله من المفيد العودة من حين لآخر إلى القرطاس والقلم وكتابة كل ما لم يتح البوح به والتعبير عنه وسط السباقات المحمومة في زمن السرعة، الكتابة من أجل ترك شيء للتاريخ، وتخليف زاد يجتره كل قارئ نهم، و الكتابة من أجل النسيان، و كيف النسيان؟ و الكتابة ما هي إلا تقرير للبقاء والحفظ للأجيال.

أحيانا تكون الكتابة آلة للدفن، دفن ما لا تسمح معايير الزمان و المكان بالتصريح به في حينه، دفن ما لا يسعف الظرف للتعبير عنه بتلقائية. وما ذنب الخطاب المرتجل إن تمت صياغته خارج أسوار المثالية المبتغاة؟ ما الفائدة من دفق معلوماتي في حكم المعدوم، لا فائدة ترتجى منه و لا قيمة أدبية يحملها بين طياته؟ وهل يعقل أن تكون البشرية قد

أمضت السنون واستفرغت وسعها في انتظار تحقق هذا التفسخ الأخلاقي الذي تشهده بعض زوايا عالم اليوم؟

لقد كتبوا بدم القلب قصص حياتهم، لقد خطوا بدموعهم سطور وقائع غريبة وعجيبة، كغيرهم من الآدميين حاولوا أن يعيشوا بطريقتهم، ولكن حياتهم أبت إلا أن تكون كغيرها، تبدأ وتنتهي، تبدأ بميلاد قيصري وتنتهي بالرجوع إلى الأصل الطيني للبشرية.

فعلى درب حياة صعبة، وعلى طعم مرارة مسيرة طويلة في سبيل الحصول على تقدير اجتماعي، يتصادف المرء مع مواقف حيكت على مقاسه أحيانا أو جاءت بعيدة عن طبيعة تصوره للحياة وفهمه لحركية الكائن البشري، لذلك فالكاتب يحاول في كل مرة أن يخلد هذه الأحداث أو يضمن لها شيئا من الإستمرارية لعل أحدهم يفهمها يوما أو يتعرف على طبيعة دوافع ممثليها والذين تدخلوا في صناعة السيناريو فيها وإخراجها. إن عددا من المواقف الهجينة المهاجرة التي يخيل للآخر بأنها من غير هذا الكوكب قد تجد لها تفسيرا يوما ما، أو قد يكون ما يعتبره غيرنا غير عادي عاديا بالنسبة لآخرين، ولعل الرسم القبيح يجد الجمال في عين آخرين، ولعل العشوائية التي نحس بها أحيانا أمام بعض الميكانيزمات المتحكمة في حبك قصة حياة، قد تكون مدروسة ومحسوبة بمعادلات دقيقة من عالم آخر ومن بعد آخر.

لقد مر على الناس زمان وهم يحاولون تمثل قيم مجتمع المتلاشيات المختلفة والثقافات المتعددة الألوان والأشكال، ولكنهم ما حصلوا في الغالب إلا على عصير مر المذاق، فلا تفسير في هذا الخليط لأدنى حركة غريبة، ويقف الجميع

حائرا أمام وقائعه وأحداثه الفريدة. مربعات بدون رؤوس ولا أضلاع، ومدارس بدون معلمين، وأطفال بدون أخلاق، وبنات بدون سراويل، ونقود سهلة بدون عمل. وشفاه تلوك المثل المبتذل: ليس هناك شيء بدون شيء. ويظهر المجانين من حين لآخر على منصات ومنابر، وقد يحدث أن يقود بعض المعتوهين مؤسسات وشركات ومنظمات عالمية تتحكم في مصير الملايين، ويلعب المستهترون بمستقبل أجيال.

في مجتمعات الصفر وصفر المجتمعات، تعقد اللقاءات والندوات للإتفاق على خراب الجميع وتدمير أغلى الأشياء، وأغلب القوم يعتقدون في نفسهم المهدي الذي ينتظره الجميع وهم يرقصون في حضيض الرذالة المنتن. والكل يتساءل: أما آن للبشرية أن تستيقظ من جديد لتكتشف كم كانت غافلة عن الحقيقة التي دامت تسير موازية لها على مر كل الأزمان والأزمات.

لقد خط الزمان في جباه القوم خرائط تتحدث عن ماضيهم المضني وكفاحهم الطويل للتأقلم مع طبيعة أصبحت غير طبيعية، لقد أعياهم البحث عن معنى لقبول كل شيء والحق يصرخ في دواخلهم وينهش كيانهم. لقد تعبوا من شدة التفكير في كيفية العيش في ظل اللامبالاة بواقعهم وهم مسؤولون عن كل شيء، ويحاسبون عن كل شيء في المعجل والمؤخر، ويتعرقون خوفا من التفريط وضياع القليل الذي يعيشون من أجله.

وكما أن الفيزياء يوفر عدة مواقف وتمارين ومعطيات يتم العمل عليها لكي تستنتج قواعد ومبادئ تحكم تصرف المادة داخل الكون وتغيراتها، والرياضيات يوفر عدة مسائل

يترتب عن نهج الطريق لحلها معرفة العلاقات الرابطة بين العديد من الكائنات المجردة والأرقام والتفاعلات المنطقية، فإن المواقف المعيشة توفر أرضا خصبة ومجالا واسعا للقيام بالتجارب التشريحية للوقوف على تمفصلات ومبادئ عمل الحياة التي يعيشها الجنس البشري. فبتأمل عناصر التفاعل في كل حركة تقع على طاولة التشريح، وبتقويم الروابط عبر تمريرها بين مطرقة النقد وسندان القيم الاجتماعية يمكن التوصل إلى نتائج هلامية تقترب من الفهم البسيط والمشوه لواقع معيش ولما يحدث داخل هذا الكوكب السابح في الفضاء نحو نهاية محتومة.

لا بد وأن القارئ النهم، المتطلع لمعرفة السر وراء هذا التيه المقصود الذي تحدثه تفاعلات الأفراد والجماعات داخل القرية الكونية عن قصد منهم أحيانا وعن غير قصد منهم أحيانا أخرى، سوف يجد ضالته في بعض من التداعي الفكري الحر وصيد الخاطر المعبر عن جراح أناس لم تلتئم بعد ولم تضمدها الأيام ولم يسترها تقدم أصحابها في السن وسقوط أسنانهم. لقد أحنت الساعات ظهورهم ونكستهم النكبات وتلونت ابتسامتهم بالرمادي شيئا فشيئا، ودخلوا في دوامات من الأحداث لا تنتهي وسلاسل تقيدهم تتكرر إلى الأبد. ولعل وضعهم على محك النقد الساخر وانقيادهم لسلطة القلم وجور الكلمات المجحفة يكون لهم دواء من خوفهم المزمن وحيرتهم المتجذرة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أكادير يومه: 22 شوال 1434هـ

الجمعة 30 غشت 2013 م

المتاهة الزمنية

"أنا لا أفكر في المستقبل أبدا، فهو سيأتي قريبا "
ألبرت إنشتاين

كان الظلام حالكا و السماء مكفهرة، وعلي كعادته يترنح ويسقط من حين لآخر على جنبات الطريق أو ينزوي ليتبول في حقل من هذه الحقول التي تؤطر الطريق على طول أميال. لقد عاد علي لتوه من مركز القرية التي يقطن فيها حيث اعتاد أن يحتسي كؤوس الخمر مع أصدقاء السوء الذين قضى معهم مرحلة لا يستهان بها من شبابه. لقد كان سبيله لكسر الملل الذي يعاني منه معظم القرويين مع حلول المساء هو الاستئناس برشفات من مشروبه المفضل.

وما إن اقترب علي من بيته حتى تراءى له طيف امرأة جميلة لم يرها من قبل تقف أمام باب منزله الخشبي وتنظر إليه باندهاش. فلم يفهم علي شيئا مما رآه واعتقد أنه تأثير الخمرة وأن هذا حلم عابر، خصوصا وأنه يقطن وحيدا في منزله منذ سنوات ولم يسبق له أن زارته فتاة في مثل هذا الوقت المتأخر من الليل. أما عن عائلته فقد قاطعته منذ زمن بعيد بسبب تصرفاته وأفعاله الهوجاء التي يرتكبها من حين لآخر نتيجة لتعاطيه المفرط للخمر.

لكنه وبالرغم من ذلك سرعان ما بدأ يشك في فرضية أن يكون ما رآه سرابا أو مجرد خيال في عقله بعد أن اتجهت

الفتاة نحوه وانهالت عليه ضربا بكل قوتها وبدأت تجذبه من أطراف ملابسه بقوة معبرة عن غضبها، وتصيح بأعلى صوتها بكلمات لم يستطع علي أن يتذكر منها سوى: «كنت أود أن أسألك عن أمي، لكنك لن تتذكر الآن حتى نفسك. هل عدت للسكر مرة أخرى؟أنسيت وعدك لي؟». المهم لم يفهم علي ما تقصده تلك الفتاة الغريبة و لا عن أي وعد تتحدث. وبما أنه لم يجد ما يفعله ردا على هذا الموقف ساقته غرائز هجينة من العدوانية والدفاع غير البريء عن النفس إلى إرسال أطرافه في جميع الاتجاهات و بدون اتزان. ولم يتذكر علي ما جرى بعد ذلك.

أفاق علي على ضوء شمس الظهيرة الحارة، وهو يحس بآلام شديدة في معدته. وحاول النهوض، لكن الجاذبية أبت إلا أن ترده إلى مكانه بعد كل محاولة. فاستند إلى الأريكة التي كانت على مقربة منه ليستطيع أخيرا الوقوف على رجليه. لكنه صدم حين رأى يديه ملطختين بالدماء، فاسترجع شريط الأحداث واستطاع بصعوبة بالغة تذكر بعض تفاصيل ما جرى له بالأمس. تحسس جسمه بحثا عن أي جرح يبرر له سبب وجود الدماء على يديه لكنه لم يجد سوى بعض الكدمات والخدوش التي لم تكن كافية لإغراقه بهذه الكمية الكبيرة من السائل الحيوي.

تتبع علي آثار نقط الدم في المنزل حتى اقترب من الباب فصدم شيئا و تعثر ليسقط ممددا على الأرض، وحين نهض مجددا وقعت عيناه على جثة امرأة. لقد كانت نفس المرأة التي يتذكر بصعوبة أنه شاهدها بالأمس وهي تنهال عليه ضربا، فعرف أنه قتلها وهو مخمور. لقد انهال عليها ضربا و طعنها

بموسى حديدية صدئة كان يحملها في جيب معطفه الصوفي الوسخ.

ومع توالي الأفكار و التساؤلات بدأ علي يتساءل عن ما يمكن أن يفعل ليخفي معالم جريمته الشنعاء. فما كان منه إلا أن أحضر كيسا كبيرا وأدخل إليه جثة المرأة وغير ملابسه الملطخة بالدماء ونظف أرضية منزله جيدا بعد أن أنزل الجثة إلى الطابق الأرضي. لم تكن لديه تخوفات من قبيل أن يضبطه أحدهم أو يحس أحد زائريه بغرابته ويرى آثار بقعة من بقع الدم في المكان، فأقرب جيرانه يبعد عن منزله بمئات الأمتار إضافة إلى أن أحدا لم يعتد زيارته أو الاهتمام بأمره. بل كان يخاف أن يباغته الموت يوما فلا تدفن جثته إلا بعد أن تتعفن في هذا المكان المعزول.

ومع حلول الليل كان علي يحمل معولا ويجر الكيس الذي ينزلق فوق الأعشاب بيسر باتجاه منطقة منسية وسط الحقول. وبعد ساعة من العمل الشاق كانت الجثة قد توارات تحت التراب واستلقى علي إلى جانب القبر الذي وضع إلى جانبه باقة من الزهور جمعها في الحقل المجاور وحجرا كبيرا نقش عليه تاريخ ذلك اليوم. وبقي على هذا الحال فترة طويلة وهو يتأمل النجوم ويبحث عن المغزى من وراء كل ما حدث له قبل أن ينصرف إلى بيته ويخلد إلى النوم.

ومرت السنوات ونسي علي هذا الحادث تماما، وتوقف عن زيارة القبر الذي لم يعرف هوية المرأة التي ترقد فيه بالرغم من أنه حاول بمختلف الوسائل المتاحة له التوصل إلى أية معلومة تفيد الاختفاء الفجائي لامرأة في قريته أو القرى المجاورة، لكنه أبدا لم يسمع بشيء من هذا القبيل.

فاعتقد بأن تلك المرأة قد تكون آتية من مكان بعيد، ومع ذلك فما الذي دفعها إلى الدخول لبيت غريب سكير والشجار معه؟ هذا ما لم يستطع علي الوصول إلى حقيقته رغم مرور كل تلك السنوات.

ومر الوقت واستطاع علي أن يحصل على عمل في البلدة المجاورة، فانتقل إليها وترك قريته وابتعد عن أصحاب السوء لفترة أنسته العديد من الحماقات التي كان يرتكبها. لكنه مع ذلك لم يترك السكر، وكان يرجع إلى قنينة الخمر كل آخر أسبوع يعانقها ويرتشف رحيقها أو ما يظنه ويعتبره وهما رحيقا بالنسبة إليه.

وبعد أن جمع علي كمية من النقود تقدم لخطبة فتاة كانت تقطن إلى جانب المنزل الذي يكتريه. وفعلا فقد وافق أهلها بعد أن اشترطوا عليه الابتعاد عن الخمر والعربدة. فكان أن وافق على شروطهم وتم الزواج في أحسن الظروف. ومع مرور الزمن كان علي يحن إلى معانقة قنينة الخمر ويخبر زوجته بذلك فتشجعه على الصبر و الصمود و كبح نفسه لكي لا يرجع إلى الإدمان. وفعلا فقد كان علي يواسي نفسه ويقول لزوجته من حين لآخر: «كيف يمكن أن أكون أحمقا هكذا؟ كيف أفكر في معانقة زجاجة بها سائل متخمر وعفن، وأنسى أن بجانبي زوجة جميلة أستطيع معانقتها. أعدك يا زوجتي العزيزة بأنني لن أرجع إلى هذا الهذيان مرة أخرى».

ومرت السنوات وعلي يعيش في سعادة وهناء مع زوجته، ولم تبق له مع الخمرة سوى ذكريات يبليها الدهر يوما بعد يوم. لقد كان سعيدا لأنه استطاع التحرر من قيده وفرحا لأنه تمكن من الوفاء بوعده.

وقد كان علي يقدر زوجته كثيرا ويحبها بالرغم من أنهم لم يرزقوا بالأولاد، وكان يعتني ويهتم بها ويساعدها في تدبير شؤون المنزل ويعينها على القيام بواجباتها، ومن حين لآخر يشتري لها هدية بمناسبة أو بغير مناسبة تعبيرا عن حبه لها. كما أنه يسافر معها إلى المدن القريبة ومناطق الاستجمام المجاورة كلما سمحت له ظروف عمله بذلك منتهزا أي فرصة لكي يكون إلى جانبها في جو رومانسي وطبيعة خلابة تغذي عشقه لزوجته وتزيده تمسكا بها.

وفي أحد أيام الصيف، قرر علي وزوجته وحماته تمضية بعض الوقت في البيت القروي القديم للهروب من ضغوط التمدن وروتينية الحياة في هذه البلدة إلى الهدوء والسكون اللذان توفره لهما هذه الحقول الشاسعة، والأراضي الفسيحة المحيطة بمنزلهم. وقد كان علي معتادا على تمضية النهار بالقرب من زوجته طوال الوقت لا يفارقها إلا نادرا للتسوق في مركز القرية والتزود بحاجياتهما من الطعام والشراب.

وفي أحد الأيام ذهب علي للتسوق كعادته، ولكنه تأخر عن موعد عودته بعد أن التقى أحد أصدقائه القدامى هناك فتجاذبا أطراف الحديث وتناولا وجبة العشاء في أحد المقاهي وبقيا فترة من الوقت يتحادثان عن ذكرياتهما معا وعن مسارات حياة كل واحد منهما بعد أن افترقا.

ولم ينتبه علي إلا بعد أن أشار إليهم النادل بأن الوقت قد تأخر وعليه أن يقفل المقهى. آنذاك فقط ودع صديقه وانصرف مسرعا بعد أن تذكر بأنه قد ترك زوجته و حماته لوحدهما في المنزل.

وما إن اقترب من منزله حتى تراءى له شبح امرأة تقف على الباب، فاعتقد أنها زوجته تنتظره لكي تؤنبه على تأخره وتخبره بأنها لم تقدر على تناول العشاء في غيابه فانتظرت عودته لكي يتعشيا معا. لكن مع اقترابه من باب المنزل اكتشف بأن الواقفة هي حماته التي ما إن رأته حتى اتجهت صوبه بسرعة وهي تسأله عن ابنتها: «هل رأيت ابنتي؟ أليست معك؟ ألم تذهب معك إلى التسوق؟ لقد اختفت منذ أن خرجت؟ هل أخبرتك بأنها ذاهبة عند أحد من أفراد عائلتك؟». واندهش علي من هذا السيل من الأسئلة واستغرب اختفاء زوجته فجأة هكذا. فتوجه إلى منازل أفراد عائلته وسألهم واحدا واحدا إن كان أحدهم قد رآها، لكنهم أجابوا بالنفي جميعا. فسأل جيرانهم و جميع من كان يشك في إمكانية ذهاب زوجته إليهم، واجتهد في إزعاج أكبر عدد ممكن من سكان القرية في ذلك الليل من أجل مساعدته في البحث عن زوجته، لكن مع حلول الفجر لم يعد هناك أي أمل في العثور عليها داخل حدود القرية لأن علي ومرافقيه كانوا قد استنزفوا جميع الاحتمالات المنطقية والعشوائية التي وضعوها مسبقا في عقولهم.

ومن شدة التعب استلقى علي في أحد الحقول بعد أن جمع باقة من الزهور ووضعها إلى جانبه وأحاط به بعض من أبناء قريته يتملكهم التعب ويتثاءبون من حين لآخر وهم يتناقشون مع بعضهم البعض بخصوص الخطوة التالية التي يمكن أن يقوموا بها بعد ذلك للعثور على الزوجة المفقودة.

وبعد فترة من التفكير والتيه في الوساوس والإمكانيات والاحتمالات، التفت علي إلى باقة الزهور التي جمعها لأنه

اعتقد في أعماق نفسه بأنه سيجد زوجته قريبا وسوف يمنحها تلك الباقة تعبيرا لها عن فرحته بالعثور عليها، فوقع نظره على حجر ضخم إلى جانب باقة الزهور كتبت عليه رموز غير مفهومة.

فاقترب منه ومسح عنه الغبار ليتبين ما كتب عليه، فصعق لما قرأ تاريخا قديما محفورا عليه. إنه شاهد القبر الذي دفن فيه ضحية استهتاره وضلاله، والتي لم يذكرها لأحد قط خلال سرده لمغامراته وحكاياته البطولية. فبدأ يفكر في الماضي السحيق ويسترجع أحداث تلك الليلة المأساوية، ويتذكر تلك المرأة الغريبة التي قتلها بسبب سكره وتهوره، ويقيس مصاب أهلها بمصابه هو في اختفاء زوجته المفاجئ، ويتصور حزن أمها عليها و فقدان زوجها لحبيبة عمره وأم أولاده، فيؤلمه ذلك ويحسسه بالذنب. ومع تعمقه في التفكير ونبشه لأحداث الماضي وقعت في مخيلته ملامح تلك المرأة الغريبة، فسرت في جسده قشعريرة وبرودة غريبتين للشبه الكبير الذي يجده بينها وبين زوجته. وفجأة صاح أمام الجميع: «لا يمكن!!». ثم قفز على القبر الذي سوته الرياح مع الأرض وبدأ ينبشه غير مكترث بأحد. وما هي إلا دقائق حتى كان علي ينتشل جثة من تحت التراب، وفتح الكفن ليتأكد من الوساوس والشكوك التي ساورته، فصدم من هول المفاجأة: لقد كانت زوجته هي المدفونة في القبر، ولم تتغير جثتها ولم تتحلل ولم تتبدل ملامحها، وكأنها دفنت قبل ربع ساعة. فضمها علي إلى صدره وهو يبكي بحرقة، وأبناء قريته متحلقون حوله يحملقون فيه وينتظرون منه تفسيرا وجوابا لعشرات الأسئلة.

الدوامة

" الأعداد تحكم العالم "
فيتاغورس

ملحوظة: لم يتم التمييز بين مفهوم العدد والرقم في هذه القصة القصيرة، وذلك لكون هذا مبحثا في علم الرياضيات يسمح مقام التعبير الأدبي بتجاوزه على اعتبار أن الأمر لم يعمق فيه البحث الفلسفي بعد ولم يحسم في حدوده اللغوية.

لقد ارتبط العدد منذ أوائل التاريخ بالإنسان، وقد كان في بداية تشكل مفهومه يملك علاقة وطيدة مع الحواس ويتسم بقدر كبير من البساطة وبالكثير من النفعية. أما اليوم فقد وصل مفهوم العدد لدرجات كبيرة من التجريد تجعل البعض يتساءل عن الجدوى من كل هذا القدر من ضخامة العد وتدفق الأرقام في كل مكان. هذه الأرقام التي أضحت أداة النقل الأساسية للمعلومات التي نطلع من خلالها حتى على بعض جوانب دراسة الظواهر الاجتماعية والإنسانية.

لقد كان مجرد شبح، لم يعلم أحد متى ولد و لا أين؟ و ما هي معالم شخصيته ومميزات طبعه. لقد كان مبهما مثل قصة مكتوبة بحروف هيروغليفية مسجونة في كتاب أوصدت صفحاته إلى الأبد. لقد كان كتوما ومنغلقا ووحدانيا، لا يحبه أحد ولا يحب أحدا ما دام أحد لا يعرفه. على كل حال كان لديه صديق وحيد ورفيق فريد من نوعه، ومؤنس درب لا

يمل من محادثته والتكلم معه: إنه غليونه القصبي الذي لا ينطفئ طوال النهار منذ أن جاء إلى هذه البلدة السعيدة.

كل صباح كان يهبط بطلنا المنطوي على نفسه إلى مقهى الفندق الذي ينزل فيه مقابل دريهمات، ويتناول وجبة إفطاره بعد أن يشتري جريدته المفضلة ويضعها إلى جانب كوب القهوة دون أن يقرأ منها حرفا واحدا. فيشعل الغليون ويطلع من خلال النافذة على المارة وهو تائه في بحر أفكاره وسحابة الدخان تحيط به من كل جانب. ترى في ماذا يمكن أن يفكر مثل هذا الشخص الغريب؟ كل ما يعلمه أهل البلدة أنه لا ينبس بكلمة واحدة إلا عند الضرورة القصوى. على كل حال فلا أحد هنا يسأله أو يحاول الاختلاط به ما دام مظهره الخارجي يوحي بأنه في غنى عن التحدث مع أحد. والكل يعرف أن نادل المقهى ومدبر الفندق حاولوا الحصول منه على ما يفيدهم للتقرب إليه دون جدوى، فلا أحد يعرف عنه أكثر من اسمه المستعار الذي دونه في دفتر الفندق: علي علي، اسم لا يعطي أي معلومات إضافية عن هذا الشخص الغريب، فقط مدير الفندق هو الوحيد الذي اطلع على بطاقة هويته الشخصية ولكنه لزم الصمت ولم يرض رغبات الفضوليين في معرفة كل شيء. فالكل يريد معرفة اسمه الحقيقي ومهنته وعنوانه الأصلي وسبب تواجده بالمنطقة. وقد يبدو الأمر سخيفا، فالبعض قد يرى أن التصرف الحضاري يقتضي تجاهل الناس لأمر هذا الغريب دون إصرار منهم على معرفة ما قد لا ينفعهم ولا يضرهم. لكنها القرية، والناس هنا يعدون على رؤوس الأصابع، وليس هذا الفندق والمقهى سوى بقايا فترة كان ينشط فيها العديد من الناس في صيد الأسماك

متخذين ميناء بسيطا على الشاطئ المحاذي للقرية. أما اليوم فكل شيء قد تغير: تحطمت بنايات الميناء أثناء الحرب ولم تبق سوى ذكرى الماضي المزدهر والحاضر الرتيب والمستقبل المبهم.

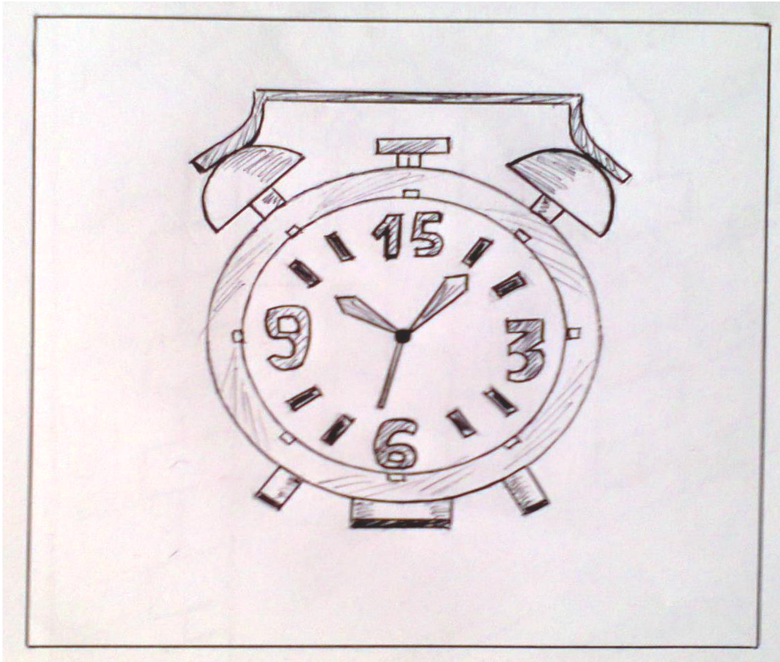
وها هي زبيدة تتجول في شوارع البلدة وتقتني ما يعجبها من الخضر والفواكه لكي تطهو عشاء لذيذا ينسيها مشقة يوم قضته في الغسل والكنس والتنظيف بفندق القرية الوحيد قبل أن ينتهي بأسئلة وتحقيقات الشرطة بخصوص ذلك الحدث المفجع والمحير الذي عاشه الفندق اليوم. فهي لم تعتد على تنظيف الغرفة رقم 15 منذ أن حل بها الغريب بناء على أوامر صارمة من مدير الفندق، ولكنها وبدافع الفضول فكرت في كنسها اليوم، وكانت تملك مفاتيح معظم الغرف، وطبعا صاحب الغرفة رقم 15 لا يعرف ذلك. اتجهت زبيدة نحو الغرفة وفتحتها لتقف مذهولة أمام منظر غريب ومدهش: فقد كانت الغرفة تعج بالعديد من الخردوات والأوراق المبعثرة والكتب العتيقة، وكل ذلك في جو من الفوضى وجدت فيه العناكب مرتعا لها وحل الغبار ضيفا عليه.

أما شدة فضول زبيدة فقد أنساها الكنس والتنظيف وانهمكت في تقليب أجزاء وقطع متناثرة هنا وهناك، وتصفح بعض الكتب التي كانت مغلفة بغلاف أسود سميك، مملوءة صفحاتها بالكتابات الغريبة والطلاسم غير المفهومة. وما كادت زبيدة ترفع عينيها حتى صرخت بأعلى صوتها فزعا من المنظر المرعب الذي شاهدته، فقد كان علي معلقا في حبل ربط إلى السقف ورجلاه تسبحان في الهواء، ومع نفس صرخة زبيدة رن جرس الهاتف، واستمر في الرنين المزعج

مما جعلها تتجه إليه وتجيب: «ألو،ألو...». لم تسمع صوت أحد!! وفجأة سمعت صوتا غريبا يقول: « خمسة عشر، خمسة عشر...». ويرددها مرات ومرات، فوضعت السماعة مرتابة وانصرفت بسرعة لتعلم مدير الفندق بنبأ الانتحار.

زبيدة الآن تقتني الخضر والفواكه، وهي تجمع ما أعجبها منها وتكيله لتضعه في السلة: «كم ثمن الثلاث كيلوغرامات من الطماطم؟». هكذا قالت زبيدة سائلة، فرد عليها البائع في الحال: «خمسة عشر درهما سيدتي». فناولته المبلغ وانصرفت إلى منزلها، وفي الطريق مرت بجانبها الحافلة رقم 15 ، والتقت بصديقتها محجوبة وحدثتها عن أخبار شتى ودعتها لحفل زفاف ابنتها الذي سيقام في الخامس عشر من يناير. وأخبرتها بأن دملج وخاتم العروس من أثمن ما اشتراه لها عريسها، حيث تبلغ قيمتهما خمسة عشر مليون سنتيما، وهكذا تساقطت أمطار العدد 15 على زبيدة وهي تسمع كل ما تقوله محجوبة مندهشة ومستحضرة لمنظر الغريب المنتحر.

وبمجرد دخولها إلى المنزل رفعت زبيدة عينيها إلى الساعة الحائطية، فتفاجئت حين اكتشفت أن عقربها يشير إلى الرقم 15، ولكن الساعة الكلاسيكية لا يوجد فيها العدد 15. فبدأ الأمر يخيف زبيدة أكثر، « من أين جاء العدد 15؟». فتحت زبيدة دولاب ملابسها، ومن كثرة شكها وتفاقم وسواسها بدأت في حساب عدد أحذيتها وعدد جواربها والسترات التي تمتلكها، ولفرط دهشتها كان كل ذلك يساوي خمسة عشر. عدت عدد المصابيح بمنزلها وعدت الكراسي والأكواب وكل ما كان يخطر على بالها، فلم تفلت من قبضة العدد 15. كانت تملك خمسة عشر طبقا وخمسة عشر كتابا وخمسة عشر



حذاء. تقطن بالزنقة رقم 15 وتعمل بالفندق منذ خمس عشرة سنة. واستمرت في التفكير في كل شيء فلم تجد في حياتها سوى العدد 15 متكررا مئات المرات، وكان ذلك مرعبا...

أما مدير الفندق فقد قرر اليوم، وبعد خمسة عشر يوما من انتحار الغريب أن يرجع الفندق إلى سيره العادي، ويعيد تأجير الغرفة رقم15، فارتقى السلم وصعد إلى الطابق الثاني بحثا عن زبيدة ليوصيها بتنظيفها، فنادى بأعلى صوته دون أن يجيبه أحد، ثم فتح باب الغرفة رقم 17 ووقف مصعوقا أمام منظر زبيدة وهي معلقة يحيط بعنقها حبل سميك بنفس الطريقة التي انتحر بها الشخص الغريب. وفجأة رن جرس الهاتف فحمل مدير الفندق السماعة وسمع صوتا غريبا يردد: «سبعة عشر، سبعة عشر...».

الشبح الحقيقي

" الشبح ، علامة خارجية بديهية تعبر عن خوف داخلي "
أمبروز بييرس، معجم الجن

بالنسبة لها فقد فقدت الثقة في استقرار الأمور على ظواهرها، فقدت قيمة الحب بالنسبة لها معنى، أضحت الأحلام سرابا وذاب كل شيء. قلوب بعض الفتيات تذوب من الألم منذ الصدمة الأولى، وتوصد بأقفال فولاذية منذ الخدعة اللئيمة أو الإثم المتعمد. تقفل بمفاتيح صدئة ترمى في بحار المجهول. فيأتي عابر سبيل ليطرق مجددا، ويخطئ في التقدير ويصطدم مع المهمة العسيرة. طريق وعر شاق تمخض جراء نوستالجيا مقززة تمنح للفتاة عذرها وتمسخ عذريتها. ما أعسر وأقسى الفتاة التي تتألم، ولا تقول بأنها تتألم، وتألم الآخر لكي لا تتألم، وفي الأخير تتألم. تعذب الآخر لكي ترتاح وتصوغ سيناريوهات حيكت لها، ولا ترتاح، تحاول، ولا ترتاح، وتتألم.

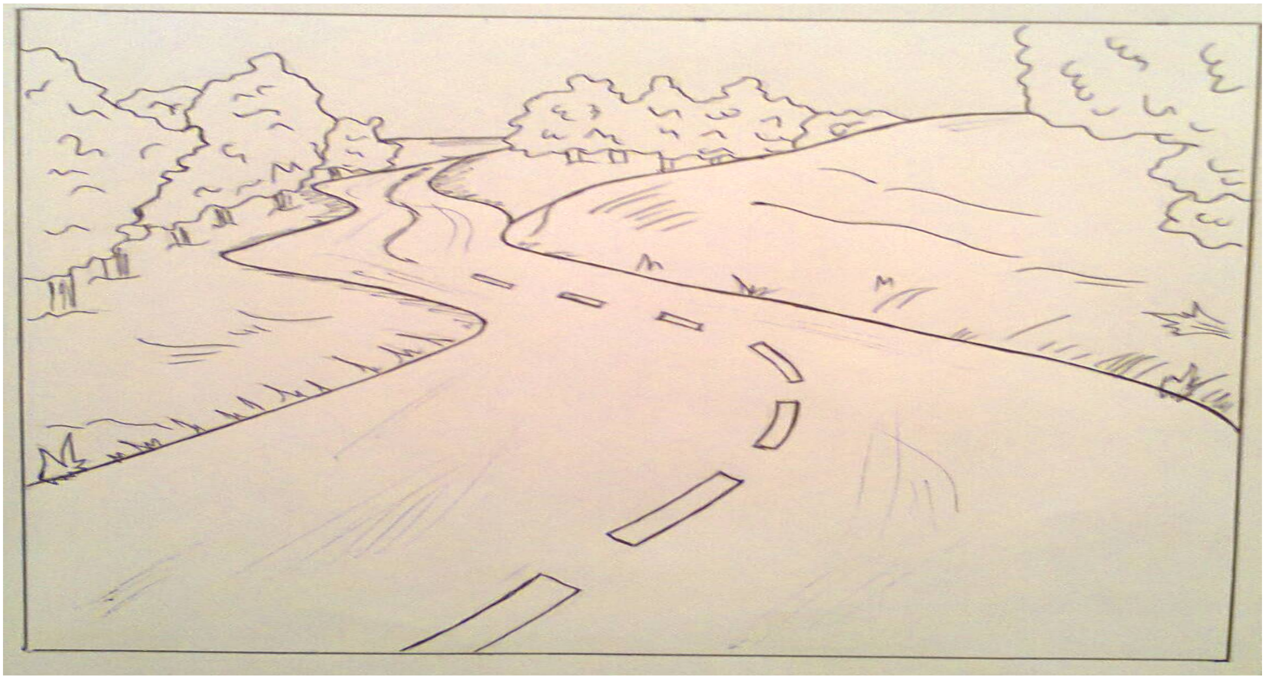
كان إبراهيم يقود سيارته على طول الطريق السيار الرابط بين المدينة التي يقطن فيها وبين مدينة أخرى كانت لديه فيها مهمة عمل. كان الجو حارا وجافا والطريق المعبد خاليا، قلما تمر فيه سيارة أو شاحنة فهذا وقت الظهيرة، وقلة

هم الذين يدركهم وقت تناول الغذاء وأخذ قسط من الراحة وسط هذا الخلاء الفسيح. أما إبراهيم فإنه فضل السفر رجوعا إلى المدينة بمجرد ما انتهت مهمته فيها. ولم يكن قد تناول غذاءه بعد، لأنه ينوي التمكن من الوصول في أقرب وقت لمنزله. من حين لآخر كان إبراهيم يشغل المذياع ليستمع لنشرات الأخبار أو يمد بصره بحثا عن شجرة يتيمة وسط هذا الخلاء الذي يخترقه الطريق السيار. أحيانا يرى حيوانات برية صغيرة على جنبات الطريق لا يستطيع أن يميزها لأن لونها يشبه لون الرمال.

وفجأة، شاهد إبراهيم شبحا أسودا في الأفق يقترب منه شيئا فشيئا، ومع اقترابه منه كانت معالمه تتضح إلى أن استطاع أن يكتشف حقيقته رغم أنه لم يصدق ما تراه عيناه. لقد كانت امرأة تلبس حلة سوداء وتدفع أمامها عربة صغيرها الزرقاء محاولة اجتياز الطريق. فضغط إبراهيم على المكابح بقوة ليستطيع أخيرا أن يوقف سيارته قبل أن يصدم هذه المرأة الغريبة التي لم تعره إهتماما و لم تتحمل عناء النظر إلى جنبات الطريق قبل أن تقطعه، وحتى بعد أن وقفت سيارة إبراهيم على مقربة منها اجتازت الطريق أمامه بكل هدوء وكأن شيئا لم يحدث، ودون أن تلتفت إليه ولو على سبيل المزاح.

لقد كانت منكرة لوجوده تماما. حتى أن إبراهيم شك في ما يراه واعتقد أنه من تمثيلات السراب، أو على الأقل هذا ما أقنع به نفسه. وسرعان ما أحجم عن التفكير في إجابة عن أسئلة من قبيل: لماذا؟ و كيف؟ وتابع طريقه بكل هدوء.

وبعد ربع ساعة من القيادة تراءى له في الأفق مجددا شبح أسود، فدفعه الفضول إلى زيادة سرعة سيارته لكي يصل إليه في أقرب وقت. ولكم كانت دهشته لا تتصور حين أدرك أن الشبح لنفس المرأة التي تدفع أمامها عربة ابنها وتحاول اجتياز الطريق. فداس مجددا على المكابح ووقف على مقربة منها، فقطعت الطريق أمامه بنفس الطريقة التي اجتازت بها في أول مرة. فخيل لإبراهيم أنه يشاهد فيلما سينمائيا، إذ أن نفس الحركات والسكنات تكررت تماما. وبالضبط مثل ما حدث قبل ذلك، ما إن وصلت المرأة إلى الجانب الآخر من الطريق حتى اختفت تماما تاركة ورائها العديد من الأسئلة التي تشغل ذهن إبراهيم. وبعد دقيقة من التفكير، تابع ابراهيم طريقه دون أن يجد تفسيرا مقنعا لما رآه إلا أن يعزو ذلك للسراب بالرغم من أن تكرر المشهد في فترتين زمنيتين مختلفتين بنفس الطريقة جعله يشك في أن ما يراه هو بسبب هذه الظاهرة الطبيعية. ربما يكون سرابا بشكل آخر...



وهكذا تسربت الأفكار الوسواسية إلى عقل إبراهيم، فبدأ يفكر في صيغ معادلات الفيزياء البصرية التي تعلمها في سنوات الجامعة وامكانية حدوث السراب عند توفر شروط معينة، كما بدأت تستحوذ عليه أفكار الجن والأغوال والمردة الذين يسكنون القفار ويتصورون بمختلف الصور. وترجع به الذاكرة إلى أيام طفولته والأساطير التي كانت تحكيها له جدته قبل أن ينام. ولم يقطع عليه تفكيره سوى ظل أسود تراءى له من جديد في الأفق.

اقترب إبراهيم هذه المرة بحذر بعد أن خفض سرعة سيارته، رغبة منه في التأكد من أنه نفس الشبح الذي شاهده من قبل. فأوقف ابراهيم سيارته فزعا بعد أن تيقن من أنها نفس المرأة مع عربة صغيرها على جانب الطريق. لقد كانت تفصله عنها عشرة أمتار. و انتظر مرورها و قطعها للشارع قبل أن يواصل السير. لكنها لم تتحرك وبقيت متسمرة في مكانها دون أن تبدو عليها أي علامة تدل على استعدادها لاجتياز الطريق. ففكر ابراهيم والخوف من المجهول بدأ يلتهم أفكاره دون رحمة في أن ينزل من سيارته ويتجه نحوها، وهنا طفت غريزة البقاء وحفظ الذات على السطح وتحركت فيه جميع منابع الخوف التي عرف مسبقا أنها موجودة فيه إضافة إلى تلك التي لم يعلم بوجودها من قبل. فأحس بأن ركبتيه عاجزتان عن حمل ثقل جسده حتى قبل أن يتحرك من مقعده، فكيف يتجه صوب شيء لا يعرف ماهيته وطبيعته بالضبط؟.. الموت ليس مزحة، وقد يكون التفكير فيه مرعبا للبعض أحيانا، لأنه حدث يقع مرة واحدة في حياة الشخص، تماما كالولادة...

«ما بك يا إبراهيم؟ هل تخاف من طيف امرأة؟». هكذا كان يكلم نفسه محاولا تشجيعها. لكن الرهبة سرت في دمه ولم يعد يستطيع التحكم في كمية الأدرينالين المتدفقة في عروقه الدموية. فخطرت في باله فكرة قرر أن يقوم بتنفيذها في الحال، لقد حاول أن يصيح بأعلى صوته في تلك المرأة من خلال زجاج نافذته المفتوح، لكنه تخلى بسرعة عن خطته البدائية بعد أن اكتشف بأن طاقاته الصوتية قد خانته وأنه غير قادر على النطق بكلمة واحدة مفهومة.

فضغط بحذر على دواسة زيادة السرعة وحرك سيارته ببطء ليقترب من تلك السيدة الغريبة، ثم ضغط على المكابح بعد أن بقي يفصله عنها متر واحد. وفجأة حركت السيدة عربة صغيرها وقطعت الطريق أمامه دون أن تعيره أي اهتمام. وما إن وصلت إلى الجانب الآخر من الطريق حتى انطلق ابراهيم بسيارته مغادرا المكان قبل أن يختفي الشبح من جديد وكأنه لم يكن. فبدأت الأفكار تهاجم عقل إبراهيم والوساوس والأساطير تزيد من اضطرابه شيئا فشيئا، وهو يحاول طردها بعيدا والتفكير فيما يجري بايجابية مقنعا نفسه بأن لكل ما يراه تفسيرا علميا. لكن الرهبة والخوف استوليا على عقله وقلبه ولم يعد يفكر في شيء سوى صور الأغوال والمردة والعمالقة المستوحاة من حكايات الساحرات والعفاريت التي يقرأها خلال أوقات الفراغ.

ولم يستطع إبراهيم التخلص من شريط الأحداث المأساوية في بعض هذه الحكايات إلا بعد أن وصل إلى محطة الوقود التي اعتاد أن يتناول في مطعمها وجبة من حين لآخر. فأوقف سيارته بجانب المطعم وطلب من أحد العاملين أن

يغسلها ثم ولج إلى المطعم وجلس إلى طاولة قريبة من الشباك المطل على الخلاء الواسع الذي لا يحده سوى الأفق.
وبعد فترة من التأمل والتفكير العميق في طبيعة الأشياء وما توحي به مناظر الأراضي القاحلة والأفق الذي ينبأ بما وراءه من غموض، نادى إبراهيم النادل وطلب منه أن يحضر له فنجان قهوة. فما كان من النادل إلا أن أحضر له ما طلب.
وبينما هو يرتشف قهوته الساخنة وقفت سيارة أخرى إلى جانب المطعم وخرج منها شخصان يبدو على ملامحهما الإرهاق والذعر. وما إن ولجا المطعم حتى جلسا معا إلى طاولة واحدة بجانب الطاولة التي يجلس عليها إبراهيم ثم استرسلا في حديث طويل لم يعره هذا الأخير اهتمام.
وفجأة رنت في مسامع إبراهيم كلمات تنبأ بأن هذين الغريبين شاهدا على الطريق السيار نفس ما شاهده. فاسترق السمع وتابع ما يقولانه بكل إهتمام. «لقد اعتاد الناس على رؤية تلك السيدة على هذا الطريق منذ زمن بعيد، فهي لا تظهر دائما ولا يتأتى للجميع رؤيتها، لكن عددا لا بأس به من السائقين يتناقلون أخبارا عن مشاهداتهم لها». هكذا قال أحدهما لصديقه الذي استرسل قائلا: «والغريب في الأمر أنها تقطع دائما الطريق، فلم يرها أحد تفعل شيئا غير ذلك، حتى أن الجميع يحترمونها، إذ أنهم ينتظرونها حتى تقطع الطريق وتمر بسلام».
نظر إبراهيم إلى ساعته ثم أخرج ورقة نقدية من جيبه ووضعها على الطاولة وانصرف. وبينما هو يحاول فتح باب سيارته مرت بجانبه امرأة عجوز تلبس ثيابا رثة وتحمل جزرة في يدها تقضمها من حين لآخر، وفجأة وقفت أمامه

وعينيها مثبتتين في عينيه وقالت له بصوت مضطرب وهامس: «لا تتهور يا ولدي و إلا ستكون نهايتها على يديك، احذر غواية الشيطان». وقبل أن يسألها عن من تتكلم انصرفت العجوز بسرعة تاركة ورائها العديد والعديد من الغموض والأسئلة الجادة التي لا يجد لها جوابا.

وبالرغم من الفراغ الذي تركته كل هذه الأحداث في عقل إبراهيم، ركب سيارته وواصل طريقه باتجاه المدينة التي يقطن فيها. ومرت الدقائق تلو الدقائق وهو يتوقع رؤية الشبح مرة أخرى، إلى أن اعتقد بأنه لن يظهر أمامه مجددا خصوصا وهو قد مل الوقوف والوقوف لمرات عدة من أجل السماح للمرأة بالعبور.

وفجأة ظهر أمامه الشبح دون سابق إنذار وعلى مسافة قريبة جدا من سيارته التي كانت تسير بسرعة كبيرة. وعوض أن يضغط على المكابح فقد فضل أن يبقى مسرعا ويرتطم بهذا الشبح الذي يشعره ظهوره المفاجئ بالتوتر. وماذا يا ترى يمكن أن يحدث لشبح؟ لا شيء مطلقا، ربما لن يصاب بمكروه ما دام شبحا، فحدثت الكارثة.

لقد صدم إبراهيم المرأة بسيارته وسمع صوت ارتطامها بالزجاج الأمامي الذي تكسر محدثا دويا مرعبا جعل إبراهيم يضغط على المكابح بسرعة وفزع. لقد مر جسم المرأة من فوق السيارة لأن الصدمة كانت جد قوية، أما عن العربة فقد سقطت جانبا بعد أن ارتطمت بواقي المقدمة.

خرج ابراهيم من سيارته مندهشا ومفزوعا في الوقت نفسه، وهرول باتجاه الجسم الذي صدمه والذي تركه على بعد عشرات الأمتار إلى الخلف. وما إن اقترب منه حتى أحس

بدوار شديد وبعلامات الإغماء. ومع ذلك فقد تملك نفسه وانحنى إلى الأرض ليتبين معالم المرأة الغارقة في دمائها. لقد كانت شابة في مقتبل العمر ذات ملامح بدوية. فاتجه نحو العربة أملا في أن يكون صغيرها على خير ما يرام. لكنه لم يجد فيها شيئا، لقد كانت فارغة تماما.

ففكر إبراهيم فيما يمكنه أن يفعله بعد أن ارتكب جريمته الشنعاء هذه، فلم يجد بدا من إبلاغ الشرطة والإسعاف في أقرب وقت ممكن أملا في أن تبقى الشابة صامدة على قيد الحياة إلى حين وصولهم. لكنه فكر فيما ستؤول إليه حاله إن هو ضبط في مكان الحادث، والأسئلة التي ستأتي من بعد، والمتابعة والغرامة والسجن. فما كان منه إلا أن أخرج فوطة ومسح آثار الدماء المتبقية على جوانب سيارته قبل أن يركبها وينصرف قبل أن يراه أحد السائقين القادمين. وما إن أيقن بأنه ابتعد عن مكان الحادث اتصل بالشرطة والإسعاف وأبلغهم بما حدث. وبعد ربع ساعة كان إبراهيم قد وصل إلى المدينة وحاول نسيان الأمر تماما كي لا تبدو عليه علامات الاضطراب.

في صباح اليوم الموالي، اشترى ابراهيم جميع الصحف اليومية المحلية والوطنية أملا في أن يجد خبرا يطمئنه إلى ما آلت إليه حال تلك الفتاة التي لم ترتكب أي ذنب سوى أنها حاولت قطع الطريق أمام سيارته، لكنه للأسف لم يجد أي مقالة تتحدث عنها. فما كان منه إلا أن اتصل من الهاتف العمومي لمركز الشرطة يسألهم عن جديد أخبار الحادث التي وقعت بالأمس وحدد لهم المكان والزمان. لكن الشرطي المكلف بالهاتف أخبره بعد الإطلاع على ما لديه من أوراق

بأنه لم يقع أي شيء بتلك المنطقة وبأنهم تلقوا بلاغا كاذبا يفيد وقوع حادثة هناك. فاندهش ابراهيم من ذلك، ولم يسمع أحد بذكر تلك المرأة و لا بطيف ذلك الشبح منذ ذلك اليوم...

المولود الألف

«يمر الوقت، فيموت المتحابون، ولكن الحب لا يموت»

إن الإيمان بأخلاقيات الثورات طفولة ومراهقة فكرية، ذلك أن الثوار يقومون بما يقومون به لأن في شهوتهم الرغبة بالإحساس بطعم الانتصار لا لأنهم فعلا يفهمون و يعون كل ما يفعلون. و قد أشار القصيمي في عشقه لعار التاريخ إلى ضياع معالم الدوافع الأخلاقية داخل دوامة الحماس الثوري حين قال في سطر من سطور هذيانه الفلسفي : "... لو أن ثائرا ثار ضده أحد الأنبياء، فهل يتورع هذا الثائر عن صلب هذا النبي و عن تحريف جميع ما يحمل معه من ألواح ووصايا، باسم الوطنية أو الإنسانية أو النظام...".

عن مقالة نشرتها في الأسبوع الصحفي باسم مستعار

لسبب من الأسباب صاح أحدهم على منبر من المنابر بأن الجميع معاق ثقافيا، وعلى خلافه أخبر آخر بأن الجميع ذكي جدا، فاختلفا جملة وتفصيلا واتفقا في الرفع من شأن الآخرين والحط منهم: فالذي قال بإعاقة الجميع وضع يده على مكمن الداء، وحاول البحث عن الدواء، والذي قال بذكائه تغزل به واستغفله وأمطره بالكلام المعسول تحقيقا لمطامعه. الذي قال بإعاقته أهان الجميع وعيرهم، والذي قال بذكائهم احتفل بهم وبمستوى وعيهم.

وفي الذاكرة يروي أحدهم مقتطفا -أحسبه لبورخيس - يقول فيه الكاتب على لسان امرأة لزوجها : أنت زوج غير عادي. فيجيبها الزوج قائلا: وأنت امرأة عادية. فافهم، هل المدح في العادي كغيره من الناس المشابه لهم الذي لا تميزه خصلة ولا خلة؟ أم هو في غير العادي الذي تميز عن الآخرين وانفرد عنهم بما يسمه ويجعله خارج إطار المتعارف عليه بينهم.

لقد كانت البلاد التي نوردها في الحديث بشيء من السطحية والبساطة بلادا عادية وغير عادية: عادية بأرضها وسمائها وحيواناتها وذراتها، على غرار غيرها من البلدان. وغير عادية بسكانها الذين تميزوا بكونهم يعانون ويتألمون، كل على حجم ارتباطه بالحياة وتشبته بها. لقد كانوا معاقين بكيفية غير عادية، كل أطرافهم سليمة، وأجسادهم كاملة، وعقولهم متزنة، ولكن إعاقتهم كانت وشما على جباههم، وتجعلهم على خلاف أهل الأرض، أمة لديها من الخيرات والرزق الكثير مما أفاض عليهم الله عز وجل ابتداء، ولكن بنقص جسيم في الهدى والرشاد واستفحال كبير للبغي والظلال.

وصل العد يوما في ساكنة هذه البلاد إلى تسعمائة وتسعة وتسعين نسمة، وهم ينتظرون مولودا جديدا تكملة للألف. ومنذ ظهور الحمل على أمه والكثير يتنبئون له بمستقبل زاهر ومميز. فالبعض يتحدث بصوت تعلوه السوداوية والتشاؤم معتبرا الجنين معاقا ألفا مثل أهله، والبعض الآخر يرى فيه مخلصا من لعنة وصمت جبين أجداده. هناك من ينتظره مهديا

جديدا ينقذ الناس ويحفظ لهم ماء وجههم، وآخرون يرون في الناس ثأطة ستمد بماء عما قريب.

اختلفت استعداداتهم وتباينت ترتيباتهم، والبلدة كلها تشارك لتجهيز ما يليق بالمولود الجديد. هل سيكون ذكرا أم أنثى؟ هل هو أسود أم أبيض؟ من خبر الحياة لا يعير لهذه التصنيفات كبير أهمية، ولكن من طالته يد الأهواء الضالة يتوعد بوأد الأنثى، الكائن المختلف بدءا عند ذوي الفهم القاصر. هل سيكون طويلا أم قصيرا؟ جميلا أم قبيحا؟ غبيا أم ذكيا؟

الكل يتحدث في التلفاز، والجميع يناقش. تعقد الحوارات وتفتتح الجلسات وتصدر التوصيات، وكل يدلي بدوله وله رأي في المسألة. لقد أضحت قضية المولود الألف موضوع الساعة وشأنا عموميا يهم الساكنة، وتأمل القاصي والداني صورة البطن الحامل معلقة على لافتات الإشهار في الشوارع ومتصدرة لصفحات الجرائد والمجلات. وتخلل ذلك نقاش عن تسريبات على الشبكة العنكبوتية لتصوير بالصدى لهذا الخلق الجديد، وعن التداعيات الأخلاقية لهذه القضية.

بدأت الكتابات تتوالى تباعا، فهذا يكتب عن سيكولوجية المولود الألف، والآخر عن تنبآت بمستقبله، وثالث يمدحه في قصائد طوال، وغيره يروي حكاياته البطولية مع وحوش أسطورية بعضها موجود في الخيال الشعبي وبعضها الآخر لم يوجد بعد.

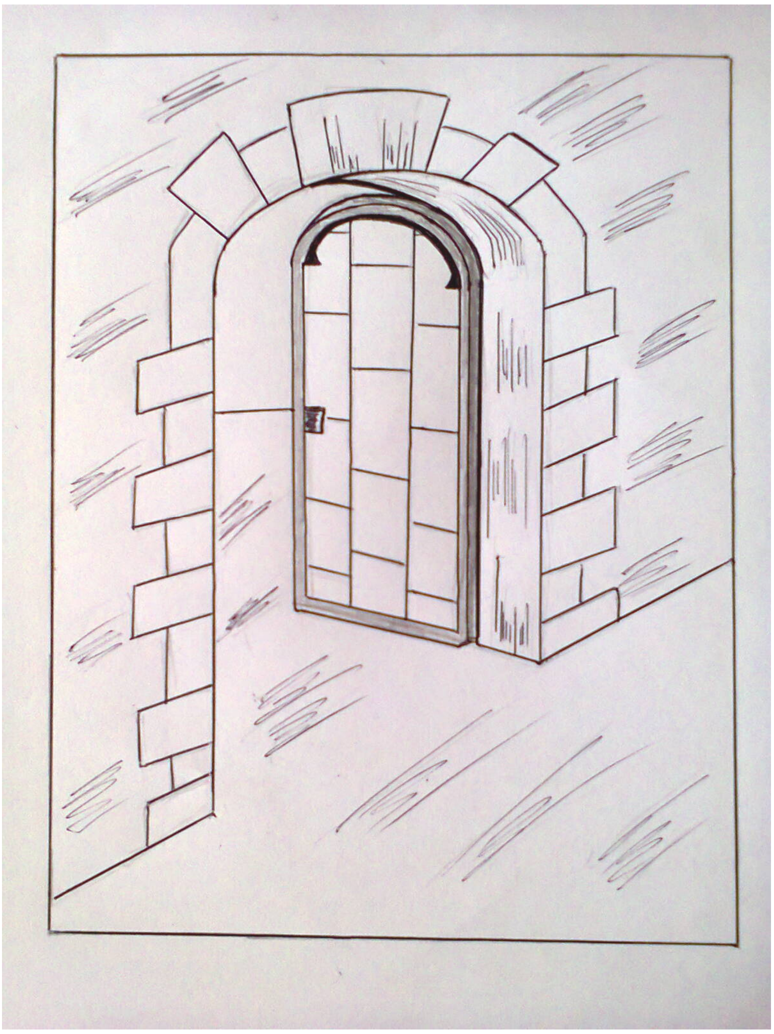
وتتوالى الهبات وتكثر الهتافات وتنتقل الإشاعات، ويأتي اليوم الموعود ويولد الطفل وتهز صيحاته جنبات البلاد، وتقام الاحتفالات والأعراس وتتوالى الأفراح والمسرات. ثم يصمت

الجميع فجأة لأن المولود لم يسمع له صوت بعد الاستهلال، ولم تعرف له كلمة بعد أخذه للنفس الأول في الحياة، وبقي صامتا أخرسا مختارا أو مضطرا، وكأن الصمت لم يخن أحدا يوما.

وها هو يوقف سيارته إلى جانب منزله الفخم ثم يفتح الباب وينزل حقيبته ويتجه صوب الباب بعد أن يغلق سيارته بإحكام، فيستقبله البواب على أحسن ما يكون: «أهلا سيدي ، كيف حالك سيدي؟» ثم ينهال عليه بوابل من الدعاوي بطول العمر والسعادة في الحياة، وهو صامت لا يرد كأنه يتجاهل كل ما يراه ويسمعه، حتى البستاني لم يتكلف أن يسلم عليه لأنه يعلم أنه لن يرد التحية. إنه ليس متكبرا، لكن اختار لغة الصمت، ويا لها من لغة بليغة يفهمها القاصي والداني، فحروف الصمت تدركها كل شعوب العالم، إنها لغة عالمية موحدة استخدمت على مر العصور دون أن تبلى أو تفنى أو تنقرض.

وكما هي العادة دخل بطلنا الصامت إلى بيته دون أن يلقي التحية على زوجته أو يقبل أبنائه الذين اصطفوا فوق السلم المؤدي للطابق الأول، وكأنهم كانوا ينتظرون قدومه بفارغ الصبر. أما زوجته فقد تناولت منه الحقيبة لتضعها جانبا قبل أن تساعده على خلع معطفه وتعلقه على المشجب. وبعد ذلك قالت الزوجة لأبنائها: «أذهبوا الآن إلى المائدة وسوف نلحق بكم بعد قليل». فيتفرق الأولاد في أرجاء المنزل بسرعة بعد أن يجيب كل واحد منهم بالإيجاب. وتسحب الزوجة البطل الصامت بقوة وهي تصيح: «كيف تغيب كل هذه المدة دون أن نراك، وشوقنا يزيد يوما بعد يوم، كيف

تسمح لك نفسك بهجر أولادك نصف قرن. نصف قرن من الانتظار وأنا أخبر الأولاد أن والدهم سيأتي، وكلما مر الزمن هزل الأولاد من وطأة مرور السنون، وها أنت اليوم تراهم قد أصبحوا أطفالا بأجسام هزيلة بعد أن كانوا شبابا في أوج وقمة عطائهم».



ثم دخل الرقم ألف رفقة زوجته إلى غرفة الطعام وجلس كل واحد منهما إلى جانب الآخر على كراسي خشبية عتيقة، وأمامهم أصناف مختلفة من المآكل والمشارب، فقالت الزوجة هامسة: «يجب أن تنتظر أولادك اليوم تماما كما كانوا ينتظرونك».

فتمر الساعات والأيام، فالشهور والسنوات، والألف جالس ينتظر، والأكل ينخره الزمن ويبليه الدهر، وأنسجة العناكب تملأ المكان. وتتوالى الليالي و الأيام، إلى أن يأتي أحد الأبناء فجأة فيفزعه منظر الأب والأم اللذان أصبحا هياكل تغطيها ملابس بالية، ومنظر الطعام الذي تحلل وغطاه نبات الفطر، وعدة مليمترات من الغبار. فيهرب الولد من شدة هول المنظر.

ينطفئ النور فجأة، ثم يضيء على المولود الألف وهو يتجول وسط المدينة، ولكنه يلاحظ أنها فارغة تماما من البشر. فيركض هنا وهناك ولا يرى أحدا، ويدخل المتاجر والبيوت فلا يجد من يحدثه، ثم يسلك أحد الشوارع الصغيرة ويتابع مسيره إلى أن يقف أمام أحد البنايات المسورة، فيسمع أصواتا تدوي من وراء الباب، وكلاما غير مفهوم، وحوارات يبددها الهواء. فيطرق الباب ولا يرد عليه أحد فلا يجد بدا من تسلقه ليطلع على ما يخفيه هذا الضجيج من عجيب الأمور، فيطلع على لوحات بشرية لم يشهد لها مثيلا في حياته كلها.

ينتشر اللون الأبيض في كل مكان على الحيطان التي تسور الضريح، يتخللها شريط من اللون الأزرق الفاتح الذي يلتصق بزوايا الغرف وجنبات السقف. وقليل من يهتم بأمر تلك الكتابات والخطوط والطلاسم المرسومة بالأسود أو البني أو الأخضر عل بعض الحيطان والأحجار والنوافذ. كتابات غريبة وغير مقروءة في الغالب، مسحتها مياه الأمطار وغيرت ملامحها حركة الرياح وأوساخ أيادي الأطفال العابثة بها من حين لآخر، وقليلة هي الجمل المفيدة التي يستطيع المتطلعون إلى هذه الحيطان قراءتها: «س زائد ص تساوي حب دائم»، عبارة مكتوبة بلون العشب على الجدار الشمالي للسور المحيط بمرافق الولي الصالح، كتبتها س أو أمها أو ص تعبيرا عن أحلامهم وأمنياتهم، فنسي ص أن اسمه كتب هنا، ونسيت س أنها حضرت رفقة والدتها إلى هذا المكان في يوم من أيام الصيف الحارة لكي تبكي هواجسها وتتقيأ همومها في أحد الأركان المعزولة، ونسيت الحب الدائم بعد أن قهرتها

ظروف الحياة وروتينية الأحداث وهدوء المكان وسلطة الزمان الذي يأخذ منها شبابها ويحسسها بالوهن يوما بعد يوم.

وبقيت س تزور وليا آخر ليلة كل عام تتصدق فيها من مالها أو جسدها على أناس تعتقد فيهم الصلاح، وتظن أنها بذلك قد كفرت عن تاريخ من المعاصي ما زال يتسلسل.

وبقي ص أخرسا، يستهلك التبغ وخمائر ما يعرف ولا يعرف من المسكرات إلى أن تبين الجميع أن جعجعة سنوات لم تنتج الرجل الألف، وإنما أنتجت كائنا يكرر نفسه يعيش حياة غير الحياة، بتصورات غير التصورات، وله قناعات تجعله يقبل العيش على تلك الشاكلة وبتلك الطريقة. لا تؤثر فيه لومة لائم ولا استهجان ساخر عابر، اعتاد الخضوع والتذلل لغير الواحد، واعتاد العتي في الأرض فسادا طلبا للبقاء، وأنى له ذلك.

تنمو فيه غريزة بهيمية بفعل دعم البيئة الموبوءة المحيطة به، وأكثر، بفعل الثقافة الموروثة عنده. هكذا يعيش أشباه البشر على قارعة الطريق، متسخي الملابس، ممزقي الأسمال، متدنسة أيديهم، لا يستبرؤون من أبوالهم ومخلفاتهم، يعاشرون زوجاتهم كلما اتفق وكيفما اتفق وأينما اتفق، لا غسل ولا وضوء معروف لهم. وفي الأخير اكتشف العالم بأسره أن الرجل الألف لم يكن إلا واحدا بثلاث أصفار.

انتهى بحمد الله ضبطه وإخراجه

في 28 شوال 1434هـ

05 شتنبر 2013 م

الفهرست



محمد الوالي العلوي

- **من مواليد نواحي أكادير.**
- **مهتم وباحث في مجال الأدب والعلوم الإنسانية.**
- **له عدة مؤلفات قيد الإعداد للطبع.**



تعريف بالكاتب: معاذ العلوي

- **من مواليد قرية تكاض جماعة سيدي بيبي.**
- **خريج جامعة القرويين كلية الشريعة بأكادير.**
- **دبلوم التقني المتخصص في استغلال النقل (اللوجيستيك).**
- **له عدة كتابات في الصحافة الوطنية والجهوية.**



تعريف بصاحب التقديم: الدكتور الحسن أيت بلعيد.

- **من مواليد المدينة القديمة بالدار البيضاء.**
- **خريج دار الحديث الحسنية بالرباط.**
- **خريج المعهد العالي الإسلامي لتكوين الأطر الدينية.**
- **أستاذ التعليم العالي باحث في الدراسات الإسلامية.**
- **مكون بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين جهة دكالة عبدة.**
- **خطيب وواعظ بالمسجد المحمدي بالمشور السعيد بالدار البيضاء.**
- **مستشار ومقدم البرامج الدينية بإذاعة إم إف إم.**
- **مسؤول ومحرر الصفحة الدينية بمجلة للا فاطمة.**
- **من مؤلفاته: - معجم شيوخ التاج السبكي (ت771هـ): تخريج ابن سعيد المقدسي (ت759هـ): دراسة وتحقيق.**

- الفقيه العلامة الشريف حمزة الإدريسي الحسني (1920-1986).

- توجيه قراءة الأعمش (148هـ) في الثلث الثاني من القرآن الكريم.

- خصائص القاعدة بين الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي.



إنها مجموعة قصص قصيرة و متواضعة، تناقش ألف عام في أربعة أسطر. إنها كلمات مقتضبة معبرة عن عالم فسيح و متنوع يفلت من سلطة الكتابة ويستعصي وصفه باستعمال مفردات لغة واحدة و بأسلوب واحد. هذه القصص انعكاس لخيال على ورق، خط القلم آثاره و رسم صورة تقريبية له. فلنحاول العيش مع الكلمات وتمثل النص الذي يدعونا لقراءته. القصص القصيرة الأربع طرزت و حيكت على مقاس الجميع، لأنها موجهة للجميع.

قصص الخيال هروب من الواقع للرجوع إليه، هي محاولة رسم الحدث بطريقة مختلفة، لذلك ففي هذه المجموعة ستجدون أشياء اعتاد الجميع على معايشتها، ولكنها مصوغة هنا بطريقة مختلفة تبعث على التساؤل: ما الذي يحدث بالضبط ؟